رسالة تعزية

من ذهبي الفم إلى أرملة شابة

رسالة تعزية

من ذهبي الفم إلى أرملة شابة

مترجمة عن :

The Writings of the
Niciene & Post - Niciene Fathers
Series 2. - Vol. 9

مفهوم التركيز في الكنيسة

الكنيسة الأولى تظهر حيويتها في معرفة رعاتها لحقيقة رسالتهم، التي تتركز في تقديم الإمكانية الإلهية للبشرية، والكشف عن قوة هذه الإمكانية التي يمكن أن تعمل في كل عضو.

فبولس الرسول تتركز رسائله في الكشف عن إمكانية عمل المسيح الساكن فينا. بل ويصلي إلى الله لأجل رعيته بهذا الهدف «مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته» أف ١: ١٨، ١٩.

فالرعاة الذين يركزون على مجرد مواساة المتألمين أو تعزية الحزانى أو أشباع إحتياجات الأفراد... يحكمون على أولادهم هؤلاء بالخمول والضمور ثم الموت. لأنهم لم يعلنوا لهم القوة الساكنة فيهم القادرة أن تعمل فيهم ليشبعوا ويفيضوا على الآخرين.

هؤلاء الرعاة لم يفهموا أن الكنيسة عاملة، وعريسها عامل، لذلك أولاد يسوع يلزم أن يكونوا عاملين وإلا صاروا كالعبد الذي أخذ وزنته من سيده ولم يبددها لكنه خبأها ولم يتاجر

فيها . . . انهم أعضاء خاملة وحمـــل ثقيل على أنفسهم وعلى الكنيسة كلها . فالعضو الذى بلا عمل يموت ويفسد هو ويفسد الاعضاء التى حوله .

الكنيسة رسالتها توجيه كل عضو من أعضائها ، من أطفال وشيوخ ، شبان وشابات ، رجال ونساء ، مرضى ومقعدين ، أرامل ومتزوجين ، فقراء وأغنياء ، رؤساء ومرؤوسين ، كهنة وعلمانيين . . . توجيهه إلى رسالته ومساعدته فى ادراك إمكانية عمل الله فيهم حتى يعملوا بنعمة الله لأجل بنيان أنفسهم وبنيان الآخـــرين .

فالشاب الساقط تحت ثقل الشهوة العنيفة . . . هذا لا تزدرى به الكنيسة ، ولا تستخف به . بل ولا تقنع بعودته إلى حياة الطهارة ، إنما عليها أن تكشف تلك الحقيقة أنه بمقدار بشاعة سقوطه يكون قيامه أعظم . وبمقدار تحطيمه لنفسه ، يكون بنيانه لنفسه وللآخرين الساقطين مثله . لانه كلما إزدادت الشهوة فى عنفها فهذا إعلان عن إمكانية نشاط وحب تكمن فيه ، لكنها خاطئة التوجيه . مثل هذا الإنسان يحطمه الراعى الذى يطلب منه مجرد الامتناع عن الشر ، لأن الكنيسة لا تقبل كبت أولادها

ولا تقف عند السلبية ، إنما تؤمن بالتسامى والتوجيه . فمثل هذا تعلن له أولا أن يحب الله فتتبدد الشهوة ، أو بمعنى أصح تذوب الشهوة فى الحب .

هذا ما صنعه ذهبى الفم فى توجيهه للراهب تادرس الساقط [1] حين أعلن له بوضوح أنه بمقدار سقوطه سيكون قيامه أعظم بل ويقيم الله بواسطته كثيرين .

أما بالنسبة للأرامل - اللواتى هن موضوع حديثنا - قد نظن أن رسالة الكنيسة نحوهن تتركز فى مواساتهن على نكبتهن مع مراعاة أحوالهن والاهتمام باحتياجاتهن النفسية والمادية

أقول فى خجل ، ان هذه نظرة الكثير من الآباء الذين نحسبهم عاملين محبين ، لكنها فى الحقيقة نظرة جامدة تدفع بفئة الأرامل نحو الموت . لأن الترمل ليس نكبة يعمل الرعاة على مواساة من حل بهن بل هو بركة وقوة وإمكانية جديدة ، به قد تحررن الأرامل من عبودية الأزواج ، لتنطلق نفوسهن بحرية أعظم فى عبادة الرب وخدمته .

---

(١) راجع كتيب « رسالة من ذهبى الفم إلى ساقط يائس » .

رسالة الرعاة نحوهن أن يكشفن بصائرهن عن العريس الحقيقي يسوع ، فيعشقن إياه أكثر . . . ويندفعن فى حب عميق نحو التعبد والشهادة له .

فالأرامل يلزمهن ألا ينظرن إلى أنفسهن كفئة منكوبة تتلمس عطف الجميع وترفقهم ، فيعشن منكسرات القلوب ، لا بل هن فئة تحتل الصف الثالث بعد رجال الكهنوت والمتبتلين ، لهن عملهن العظيم ورسالتهن فى الكنيسة . وبهذا ترفع روحهن المعنوية ، وتنتفع الكنيسة عامة بهن وبخدمتهن .

حقاً إن سر ضعفنا اليوم يكمن فى نظرتنا الضيقة إلى فئة الخدام - رجال الكهنوت وخدام التربية الكنسية - انها الفئة الوحيدة العاملة فى الكنيسة . هذا المفهوم كفيل بأن يقضى علينا بالجمود . فالكنيسة فى حيويتها لا تعرف الجمود « من لا يجمع معى فهو يفرق » . فالأطفال فى المدارس من يقدر أن يجذبهم إلى يسوع غير إخوتهم الأطفال المؤمنين إيماناً عملياً ، والشباب من يقدر أن يكسبهم ليسوع إلا الشباب الذى له صورة يسوع الحقيقية ، والنسوة فى زياراتهن لبعضهن البعض قادرات أن يعملن على نمو بعضهن البعض روحياً ، بل حتى المريض يقدر أن يربح نفوس زائريه . . . بل والعجائز لهم عملهم فى الكنيسة .

هذا ما كشفته رسالة ذهبي الفم هذه إلى أرملة شابة حديثة التزوج ، كان زوجها قد أوشك أن ينال وظيفة والى مقاطعة .

كشفت أولا وقبل كل شيء عن حكمة رعاة الكنيسة الأولى ومعرفتهم فيبدأ ذهبي الفم في فاتحة الرسالة بقلب منكسر مشاركاً إياها في آلامها وأحزانها ، معترفاً لها بقسوة التجربة . لكنه ينتقل بها من مشاعر الألم إلى مفهوم الترمل الحقيقي ، وكأنه يقول لها : طوباك لأن شركتك بيسوع تزداد عمقاً الآن ، وطوباك لأنه يهتم بك كواحدة من أخصائه ، بل كعروس له . وطوباك لأنك صرت أكثر كرامة بكونك أرملة عاملة في الكنيسة . أما من جهة المجد ، فقد أخذ الرب زوجك الرفيع المقام ، ليصير يسوع عريسك وفي الحياة الأبدية تلتقين بزوجك في اتحاد روحي عميق أبدي . ومن جهة اضطراب نفسك وخوفك على مقتنياتك فاسعي بنقلها إلى السماء حيث تجدينها في السماء عند زوجك . الرب قادر أن يحكم الرعاة والرعية لأجل بنيان نفوس الكل .

القس تادرس يعقوب

نكبة فادحة..!!

كلنا يسلم بأنك تعانين نكبة فادحة، وأن السيف قد تسلط من فوق على جزء حيوى (زوجك) . . الأمر الذى لا يقدر أحد أن ينكره ، حتى ولو كان رجل كلام غليظ القلب .

وإذ يلزم على الذين قد ضربوا بالحزن ألا يقضوا كل حياتهم فى النحيب والعويل ، بل عليهم أن يعالجوا جراحاتهم لئلا بإهمالهم تزيد دموعهم من جراحاتهم ، وتلتهب نيران حزنهم . لهذا فإنه من الأصوب أن ننصت إلى كلمات التعزية، حاجزين ينبوع دموعنا إلى حين ، ناحيتين للساعين إلى تعزيتنا .

لهذا ، فإننى قد أمتنعت عن إزعاجك يوم كان حزنك فى أوج شدته ، عند حلول الصاعقة بك ، منتظراً فترة من الزمن سانحاً لك أن تمتلىء حزناً . أما الآن فإنك تستطيعين النظر خلال الضباب الخفيف ، وأن تفتحى أذنيك لمن يحاولون تعزيتك . فإننى أريد أن أعضد كلمات خادماتك لك مع شىء من المشاركة من جانبى .

فحيثما تكون الزوبعة عنيفة ، ورياح الحزن شديدة ، فإن من ينصح غيره (فى هذه الظروف) بالكف عن الحزن ، يكون بالحرى قد أثاره إلى زيادة الحزن، ويسبب له كراهية (نحو ناصحه) ،

وتكون كلمات الناصح بالنسبة له كوقود تشعل نيران الحزن ، بجانب نظرته إلى الناصح كانسان قاسى وغبى . ولكن إذ تبدأ المياه المضطربة أن تستكين ، ويكون الله قد هدأ الأمواج، عندئذ يمكننا أن نبسط قلاع مراكب حديثاً بلا خوف . إذ فى العاصف المعتدل يمكن للخبرة أن يكون لها نفعها . أما إذا كان هجوم الرياح عنيفاً ، فالخبرة فى هذه الحالة لا تجدى .

لهذا السبب ، فإننى قبلئذ احتفظت صامتاً ، أما الآن فقد تجاسرت لأكسر سكوتى ، لأننى قد سمعت من خالك أنه يمكن للإنسان أن يبدأ فى بالحديث معك مستعيداً شجاعته إذ أن بعض وصيفاتك المرقرات تجاسرن وفتحن الحديث معك فى هذا الأمر ، وأيضاً النسوة قريباتك القاطنات خارجاً عن مسكنك كما لو أنهن قد تهيأن للقيام بهذا العمل .

والآن إذ قد سمحتى لهن أن يتحدثن معك،فإن لى رجاء عظيم وثقة أكيدة أنك لا تحتقرين كلمائى بل تصغين لى حسناً .

يسوع عريسك !!

فى أى ظرف من الظروف المرأة أكثر حساسية للألم، خاصة وإن كانت صغيرة السن، وترملت قبل الأوان، وليس لها خبرة فى الأعمال الكثيرة، وعليها مسئوليات كثيرة جداً، خاصة وإن كانت حياتها الأولى يحفها الترف وتغمرها البهجة والغنى، فإن الشر عندئذ يكون مضاعفاً جداً. فإن لم تنل مثل هذه المرأة عوناً من الأعالى، يستطيع أى فكر طارىء أن يحطمها.

والآن فإننى أقدم هذه (الرسالة) لتكون الشهادة الأولى والعظمى عن عناية الله بك حتى لا يبتلعك الحزن، ولا تهدمك أفكارك الطبيعية، عندما تعمل هذه المضايقات فجأة على غفلة. فإنك لست بمحتاجة إلى يد بشرية بل يد القدير التى لاحد لنهمها، وإلى الحكمة التى أكتشفت «أبو الرأفة وإله كل تعزية» ٢ كو ١ : ٣، فقد قيل «هو أفترس فيشفينا» هو ٦ : ٢ «سيضربنا ويعصب جراحاتنا ويشفينا».

لقد كنت تتمتعين بالكرامة بوجود زوجك الطوباوى معك، كما كنت موضع عنايته وغيرته. حقاً لقد تمتعتى بما كنت تتوقعينه من زوج. أما الآن وقد أخذ الله زوجك لنفسه، فإنه

يحتل مكانه بالنسبة لك . هـــذا لا أقوله من عندى ، بل يقول النبي الطوباوى « يعضد اليتيم والأرملة » مز ١٤٦ : ٩ . وفى موضع آخر يقول « أبو اليتامى وقاضى الأرامل » مز ٦٨ : ٥ . وهكذا نجد الله يهتم بهذه الفئة من البشرية بغيرة كما عبر عن ذلك بعبارات كثيرة .

هل تتجاهلين من دعوتك "أرملة"؟

ربما كثرة ترديد اسم « أرملة » يضعف روحك ويبلبل فكرك ، إذ صرت منكوبة وأنت فى زهرة عمرك .

أريد أولا وقبل كل شىء أن أناقش هذا وأبرهن لك أن لقب « أرملة » ليس عنوان لمصيبة بل لقب للكرامة . نعم انه لقب لكرامة عظيمة . فلا تأخـــذى مفاهيم العالم الخاطئة كشهادة تتمسكين بها ، بل تمسكى بنصائح الطوباوى بولس ، بل بنصائح المسيح ، لأن الرسول إنما يتكلم بواسطة المسيح ، إذ يقول « المسيح المتكلم فىّ » ٢ كو ١٣ : ٣ .

قال الرسول « لتكتتب أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة » وأيضـــاً « وأما الأرامل الحدثات فارفضهن » ١ تى ٥ : ٩ ، ١١ . قاصداً بـــكلا العبارتين أن يشير إلينا بخطورة الأمر .

فعندما نظم موضوع الأساقفة لم يحدد لهم السن ، أما هنا فحدد السن ، لماذا ؟ ليس لأن الترمل أعظم من الكهنوت ، إنما لأن الأرامل لهن أعمال خطيرة . . . فهن محاصرن بأعمال متنوعة ،

عامه وخاصة . وكما أن المدينة غير الحصينة تكون نهباً لمن يريد أن يسلبها . هكذا السيدة الشابة الأرملة ، كثيرون حولها يترقبونها ، ليس فقط أولئك الذين يرغبون فى نهب أموالها ، بل والراغبون فى إفساد عفتها أيضاً . هذا بجانب خضوعها لظروف أخرى تشبه حالة سقوطها ، فاستهتار الخدم وإهمالهم فى العمل ، وفقدانها للكرامة التى كانت لها قبلا ، وتطلعها إلى تبديداتها أنهن مازلن فى رخاء ، وإشتياقها إلى الترف ؛ هذا كله يغريها إلى الزواج الثانى .

والبعض منهن لا يرغبن فى الإرتباط برجل فى ناموس الزواج ، وهن يفعلن هذا حتى يتمتعن بكرامة الترمل .

فالترمل ليس بمخجل بل موضع اعجاب الرجال وتكريمهم ، ليس بين الرجال المؤمنين فحسب بل وغير المؤمنين أيضاً .

فعندما كنت شاباً عرفت أن الفيلسوف (السوفسطائى) الذى كان يعلمنى [1] ، هذا الذى كان يوقر الآلهة أكثر من كل الرجال . هذا قد أظهر اعجاباً بأمى قبل أن تتكون رابطة قوية . إذ فى استفساره عنى كما كانت عادته أن يستفسر عن كل من هم

Libanius (1)

حوله ، قيل له انى ابن أرملة . فسأل عن عمر أمى وفترة ترملها . وإذ عرف أن عمرها أربعين عاماً ، حيث قضت عشرين عاماً منذ فقدت أبى ، تعجب قائلا . . « يالله ! ! أى نسوة هؤلاء اللواتى بين المسيحيين ! ! » .

هكذا عظيمة هى حياة الترمل ومكرمة ، ليس فى نظرنا نحن فقط ، بل وفى نظر من هم خارج الكنيسة .

... يقول الرسول بولس « لتكتتب أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين عاماً » ١ تى ٥ : ٩ . ولا يكتفى بهذا النهياً العظيم من جهة العمر حتى تحسب المرأة ضمن هذه الجماعة المقدسة (الأرامل) بل يتطلب صفات أخرى إضافية « مشهوداً لها فى أعمال صالحة أن تكون ربت الأولاد ، أضافت الغرباء ، غسلت أرجل القديسين ، ساعدت المتضايقين أتبعت كل عمل صالح » ١ تى ٥ : ١٠ .

يا الله ! ! أى إختبار هـــذا ؟ ! وأى تقص ؟ ! كم من الفضائل العظيمة يتطلبها فى الأرملة ؟ ! واصغاً إياها بدقة بالغة ! ! الأمر الذى ما كان يفعله لو لم يكن يميل أن يعهد إليهن بعمل عظيم ومركز مشرف .

إنه يقول « أما الأرامل الحدثات فارفضهن » والسبب فى

هـــذا ، لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن » ١ تى ٥ : ١١ . بقوله هـذا جعلنا نفهم ان اللواتى فقدن رجالهن هن عروسات المسيح بدلا من رجالهن . أنظرى كيف يؤكد هذا عن طريق توضيح طبيعة هـذا الاتحاد بهدوء وبساطة . أقصد بذلك قوله « متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن » كما لو أن المسيح زوجاً نبيلا لا يريد أن يسيطر عليهن (جـــبراً) ، بل يريد لهن أن يعشن بحرية .

والرسول فى مناقشته لهذا الموضوع لم يقف عند هـــذه العبارات ، إذ أوضح فى موضع آخر . . . « وأما المتنعمة فقد ماتت وهى حية » « ولكن التى هى أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها على الله وهى تواظب على الطلبات والصـــلوات ليلا ونهاراً » ١ تى ٥ : ٦ ، ٥ . ويكتب إلى أهل كورنثوس قائلا « ولكن أكثر غبطة إن لبثت هكذا » ١ كو ٧ : ٤٠ .

انك ترين أى كرامة عظيمة تمنح للأرامل ، وهذا فى العهد الجديد عندما أضاء نور البتولية أيضاً بوضوح . ورغم شدة بهاء هذه الفئة (البتوليون) إلا أنها لا تطغى على أمجاد الترمل ، حيث تضيء للكل ، محتفظة بقيمتها .

فعندما تتحدث عن الترمل من وقت إلى آخر ، لا تتضايق أو تخجلي منه كأمر معيب ، لأنه لو كان الترمل معيباً لكانت بالأكثر البتولية معيبة ولكن ليست هي الحقيقة . الله لا يسمح ! !

فطالما نحن جميعاً نعجب من النساء اللواتي يعشن بعفة أثناء وجود رجالهن وهم أحياء ، ويحترمهن ؛ ألسنا بالأكثر نعجب من أولئك اللواتي يحتفظن بنفس المشاعر لرجالهن حتى بعد وفاتهم ، ونمدحهن على هذا ؟ ! .

كما كنت أقول، أنه بقدر ما تمتعتي بكرامة أثناء وجودك مع الطوباوي Therasius ومكانة كأمر طبيعي تناله زوجة من زوجها ، فإنه الآن لك الله ، رب الكل ، الذي هو من قبل حاميك ولازال يحميك ، لكن بأكثر غيرة من قبل .

وكما سبق أن قلت ، أعود فأقول أن الله يقوم بدور غير بسيط بخصوص عنايته بك ، فيحفظك سالمة ،لا يصبك ضرراً وسط مثل هذا الآتون من القلق والحزن ولا يحملك أمراً غير مفيد .

والآن ، إن كان الله لا يسمح بأي تدمير للسفينة في وسط ماء هادىء ، فكم بالأكثر يحمي روحك في جو هادىء ويخفف حمل ترملك ونتائجه التي تبدو لك أنها مرعبة ! !

ستلتقين به ممجداً !!

إن كان ليس اسم « أرملة » هو الذى يضايقك ، إنما فقدانك لمثل هذا الزوج . فإننى أوافقك أن قليلين هم أمثال ذلك الرجل فى عالم الرجال ، فى حبه ونبله وإتضاعه وإخلاصه وحكمته وورعه .

حقاً ، لو أنه هلك كلية أو أنتهى أمره تماماً ، لكان ذلك كارثة عظمى وكان الأمر محزناً . لكن إن كان كل ما فى الأمر أنه أبحر إلى ميناء هادىء وقام برحلة إلى الله الذى هو حقاً ملكه ، لهذا يلزمنا ألا نحزن بل نفرح .

فإن هذا الموت ليس بموت ، إنما هو نوع من الهجرة والإنتقال من سىء إلى أحسن ، من الأرض إلى السماء ، من وسط البشر إلى الملائكة ورؤساء الملائكة بل ومع الله الذى هو رب الملائكة ورؤساء الملائكة . لأنه هنا فى الأرض عندما كان يخدم الامبراطور كانت تحف به مخاطر الأشرار ومكائدهم . وبقدر ما كان صيته يتزايد ، كانت خطط الأعداء (الحاسدين) تلتف حوله ، والآن قد إنتقل إلى العالم الآخر حيث لا يمكن أن ننتظر فيه شيئاً من هذا .

فبقدر ما تحزنين لأن الله قد أخذ إنساناً هكذا كان صالحاً ومكرماً كان يجب أن تفرحى أنه رحل إلى مكان أكثر أماناً

وكرامة ، متخلصاً من مضايقات الحياة الحاضرة الخطيرة ، إذ هو الآن فى أمان وهدوء عظيم .

إن كان لا حاجة لنا أن نعرف أن السماء أفضل من الأرض بكثير ، فكيف نندب الذين رحلوا من هذا العالم إلى العالم الآخر ؟ ! .

لو كان زوجك سالكاً مثل أولئك الذين يعيشون فى حياة مخجلة لا ترضى الله ، كان بالأولى لك أن تنوحى وتبكى ، ليس فقط عند إنتقاله ، بل حتى أثناء وجوده حياً هنا . ولكن بقدر ما هو من أصدقاء الله ، يلزمنا أن نسر به ، ليس وهو حى هنا ، بل وعندما يرقد مستريحاً أيضاً .

وإذ يلزمنا أن نفعل هذا ، إستمعى ما يقوله الرسول الطوباوى « لى إشتهاء أن أنطلق وأكون مـــع المسيح ذاك أفضل جداً » فى ١ : ٢٣ .

لكن ربما تشتاقين إلى سماع صوت زوجك ، والتمتع بحبه الذى كان يحيطك به ، والوجود معه ، وتودين المجد الذى تنالينه بوجودك معه ، والعظمة والكرامة والضمان وغير ذلك من الأمور التى بحرمانك منها تظلم حياتك وتتكدر .

حسناً ! ! إن الحب الذى كان يمن به عليك يمكنك أن تحتفظى به معك كما كان سابقاً . لأن هذا هو قوة الحب انه يحتضن ويوحد

ويربط لا الحاضرين معاً (جسدياً) فقط والقريبين مكاناً والمرئيين، بل والذين هم بعيدين عن بعضهما البعض مسافة طويلة فلا يمكن لا لطول الزمن ولا للبعد المكانى أو شيء من هذا القبيل أن يكسر محبة الروح أو يبددها.

لكنك إن كنت تودين أن تنظرينه وجهاً لوجه، وهذا كما أعلم أنه بغية شوقك، فاحفظى مخدعك فى كرامة دون أن يلمسك رجل آخر، وابذلى كل جهدك أن تقتدى به. وعندئذ فبالتأكيد سترحلين يوماً ما لتلتقين معه هناك، لا لكى تعيشى معه خمس سنوات كما حدث هنا، ولا عشرين عاماً ولا مئة بل آلاف مضاعفة، لا بل أجيالا مديدة بلا نهاية. لأنه لا تربطكما بعد علاقة جسدية بل علاقة بطريقة ما تتناسب مع ما تتهيأين به لميراث مكان الراحة.

فإنه إن كان . . . قد جلب لعازر الغريب ليكون مع ابراهيم فى السماء عينها فى حضنه، ويتهيأ كثيرون من المشارق والمغارب للجلوس معه، فكم بالأكثر تنالين أنت مكان راحة تراسيوس Therasius الصالح، إن سلكتى مثله؟! وعندئذ تتقبلينه مرة أخرى، لا فى جمال زائل كان فيه عند الرحيل، بل فى مجد من نوع آخر، فى بهاء أكثر من أشعة الشمس. لأن هذا رغم ما فيه من قسط وافر من الجمال، لكنه زائل. أما أجساد أولئك الذين يسرون الله، فسيكونون ممجدين حتى أن عيوننا هذه لا تقدر على معاينة مجدهم.

وقد شجعنا الرب بأمثلة معينة واشارات غامضة فى العهد الجديد والقديم . فى القديم أضاء وجه موسى بمجد حتى لم يستطع الإسرائيليون أن يتطلعوا إليه ، أما فى العهد الجديد فإن وجه يسوع أضاء أكثر جداً عن وجه موسى .

إخبرينى . لو أن أحداً وعـــدك أن يقيم زوجك ملكاً على المسكونة كلها على أن تتركيه لمدة عشرين عاماً لأجل نفعه ، حتى يعيده إليك بالتاج والأرجوان ، فتصيرى فى مرتبته ، أما كنت بوداعة تحتملين الانفصال عنه ضابطة نفسك ؟ ! أما كنت تفرحين حسناً بهذه العطية وتعتبرينها أمراً يستحق التوسل لنوالها ؟ !

حسناً إذن أن تذعنى لهذا ، لا لأجـــل ملكوت أرضى بل سماوى ، لا لتتقبلينه مكتسياً حـــلة ذهبية بل ثوباً أبدياً ومجيد يتناسب مع الساكنين فى السماء . . .

† † †

أتتنديين مجد العالم ؟!

ربما يكون حزنك أيضاً على فقدانك الطمأنينة التى كنت تتمتعين بها فى وجود زوجك . وربما لأجل اشتياقك إلى تحقيق الأمانى الواسعة فى الرفعة التى كنت تنتظرينها . لأنى كنت قد سمعت أن زوجك سريعاً ما كان سيعطى له أن يكون والياً على مقاطعة ، وهذا على ما أظن أنه يتعبك ويضايقك .

أنى أتوسل إليك أن تتأملى حياة أولئك الذين كانوا فى وظائف أعظم من زوجك ، وترى كيف انتهت حياتهم بنهاية يرثى لها .

دعينى أذكرك بهؤلاء . وربما تعرفين ثيؤدورو الصقلى [1] لشهرته ، إذ كان أحد العظماء البارزين . هذا كان يفوق الكل فى قامته ووجاهته وثقة الامبراطور به . وكان له سلطان فى القصر الملكى أكثر من الجميع ، لكنه لم يقدر أن يتحمل هذا الترف

---

(١) ثيؤدورو هذا حسب قول Ammianus Marcellinus 33 كان مواطناً فى الجليل . وربما دعاه ذهبى الفم بالصقلى لأنه حاول أن يجعل من نفسه جبار جزيرة صقلية . وقد دبر الخيانة عام ٣٧١ م .

بوداعة إنما قام يدبر مكيدة ضد الامبراطور ، فسجنه وصار حاله بؤساً . أما زوجته التى لم تكن تقل عن زوجها النبيل فى التعليم والمولد وكل الأمور الأخرى ، فقدصودرت أموالها جميعها فى لحظة ، بل وفقدت حريتها إذ صارت جارية ، والتزمت أن تكون فى حياة يرثى لها أكثر من كل العبيد . . .

وقد قيل أيضا عن أرتميسيا Artemisia التى كانت زوجة لانسان له شهرة عظيمة ، هذا الذى أراد أيضا أن يغتصب العرش ، فسقطت زوجته كزوجة السابق بل وصارت عمياء بسبب شدة يأسها وغزارة دموعها . والآن هى تطلب من يمسك بيدها ويقودها حتى تطرق أبواب الآخرين ملتمسة القوت الضرورى .

وانى إذ أذكر لك كثير من العائلات الأخرى التى انحدرت فى هذا الطريق ، لست أعرف عنك أنك غير تقية أو حكيمة حتى تطلبين تعزيتك فى نكبتك بتطلعك إلى مصائب الآخرين . إنما السبب الوحيد الذى لأجله أشرت لك بهذه الأمثلة ... إنما لكى تتعلمى أن الأمور البشرية لا شىء ، إذ بالحق كما يقول النبى « كل جماله (مجد الانسان) كزهر الحقل » أش ٤٠ : ٦ . إذ رفعة البشر وعلوهم سيتحطم . . .

✝ ✝ ✝

هل تطلبين الغنى ؟

(أدرك ذهبي الفم أن من أهم العوامل التي أحزنت هذه الأرملة أنها كانت تتوقع في القريب العاجل أن زوجها سينال مركز رئيس مقاطعة أو مدينة prefect . وقد وضعت أمامها أماني عظيمة من جهة شهرتها وعظمتها وغناها ، بكونها زوجة له . . . وهنا رسالة ذهبي الفم أن يكشف لها ما قاله مار اسحق السرياني أن من يطلب الكرامة هربت منه وأما من لم يجرى ورائها تجرى هي وراءه وتمسك به فيذكر لها أن أمور العالم تهرب عمن يتمسك بها ويبحث عنها بقلق واضطراب . أما من يعمل ويجاهد ولا يهتم بكرامة الناس ومديحهم ، فهذا تلتصق به الكرامة أكثر . كما يكشف لها أيضاً عن مفهوم المجد الحقيقي والغنى الحقيقي الذي ينتظرنا في الحياة الأخرى . . . فيقول :) .

إن الغنى يبدو لغالبية البشر كأمر حسن لكن متى زالت شهوة المجد الباطل لا يعود الغنى كشيء محبوب .

على أي الاحوال ، أولئك الذين سمحوا لأنفسهم أن يتانوا في وسط فقرهم مجداً شعبياً لم يفضلوا الغنى بل كانوا يحتقرون الذهب

عندما كان يقدم إليهم . وأظنك لست بمحتاجة أن تتعلمى منى عن أولئك الرجال الذين تعرفينهم أكثر منى أمثال ابامينونداس Epminondas وسقراط وأرسطو ودموجـــين وكراتس Krats . الأولون (غير كراتس) بقـــدر ما كان يستحيل عليهم نوال الغنى نالوا مجداً فى وسط فقرهم . أما هـــذا الرجل Krats فقد ترك ما يملكه . وهكذا قد شغفوا هؤلاء فى مطاردة ذلك الوحش القاسى (شهوة الغنى والمال) .

إذن ليتنا لا نبكى ، لأن الله انقذنا من هذه العبودية المحملة التى هى موضع هزء وتوبيخ شديد ، لأنه لا يوجد فى الغنى سموا إلا فيما يحمله من اسم . وهو يضع صاحبه فى مركز يناقض إسمه (الغنى) . ولا يوجد أحـد لا يضحك مستهزءاً بمن يضع أموره لمجرد شهوة المجد (الباطل) .

فالذى لا يتطلع مشتهياً المجد الباطل (أى مديح الناس) هو وحده الذى فى استطاعته أن ينال مجداً وكرامة . أما الذى يضع كل اهتمامه لنوال مجد باطل من العالم ، فيعمل محتملا الكثير لنواله . هذا الإنسان لا ينال كرامة ، بل ينال ما هو عكس المجد : إذ يصير موضع سخرية واتهامات وازدراء وعداوة وكراهية .

هذا ما يحدث عادة ليس بين الرجال فقط ، بل وبالأكثر بينكن أنتن أيتها النسوة .

فالمرأة التى تترك نفسها على طبيعتها بلا تصنع فى شكلها ومشيها وملبسها ولا تطلب كرامة من أحد ، هذه المرأة تكون موضع اعجاب كل النسوة يعجبن بها مادحات إياها ، ويلقبنها بالقداسة ، وينظرن فيها كل صلاح .

أما الإمرأه المغرورة بالمجد الباطل ، فالنساء ينظرن إليها باشمئزاز ونفور ويتجنبن إياها كحيوان مفترس ، ويصببن لها الشتائم والذم اللانهائى .

وبرفضنا للمجد البشرى ، لا نتخلص فقط من هذه الشرور ، بل ونتال منافع غير التى ذكرت ، وهى التدرب التدريجى على حل ارتباطنا بالأرض والتوجه نحو السماء محتقرين الأمور الزمنية . لأن من لا يشعر بحاجته إلى الكرامة البشرية سيتمم كل ما يرغب فى صنعه من صلاح بطمأنينة . فلا المضايقات ولا التنعمات تقدر أن تؤثر عليه . فالمضايقات لا تقدر أن تجعله يائساً فلا تحطمه ، والتنعمات لا تعزيه أو تزهو به . فهو يبقى ثابتاً بلا تغيير من أى جانب حتى فى الظروف المزعزعة والمضطربة .

هذا ما أتوقعه بالنسبة لنفسك ، إذ بسرعة وبمرة واحدة

فقط تنزعين ربح العالم من نفسك ، تقدمين لنا مثالا للسلوك السماوى فى الحياة . وبعد قليل تضحكين ساخرة بالمجد الذى تبكينه الآن ، محتقرة خداعه وبريقه المزيف .

† † †

لماذا تخافين ؟

لكنك إن كنت تتوقين إلى الطمأنينة التى كنت تتمتعين بها قبلا بوجودك مع زوجك . وحماية ممتلكاتك وحفظك من مكائد أولئك الذين يرغبون فى مصائب الآخرين ؛ « إلق على الرب همك فهو يعولك » مز ٥٥ : ٢٢ . لقد قيل « أنظروا إلى الأجيال القديمة وتأملوا . هل توكل أحد على الرب فخزى . أو ثبت على من فته فخذل . أو دعاه فأهمل » حكمة يشوع ٢ : ١١ ، ١٢ .

فالله الذى هدأ هذه المصيبة غير المحتملة ، معطياً إياك الآن هـــدوء ، هو أيضاً الذى يحصنك من الشرور التى تحدق بك . فلا تعودى تسقطين نفسك تحت ضربة أقسى من التى أنت فيها (بعدم إتكالك عليه) .

فباحتمالك الضيقات الحالية بشجاعة ، وأنت بعد ليس لك

خبرة ، يعطيك إمكانية لإحتمال الأمور التى تحدث مخالفة لإرادتك . الله لا يسمح ! !

لذلك أطلبي السماء وما يخص الحياة الأخرى، فلا يقدر شيء ما أن يضرك . حتى ولاة عالم الظلمة (الشياطين) أنفسهم لا يقدرون أن يضرونا ما لم نضر نحن أنفسنا بأنفسنا . لأنه حتى لو نزع جسدنا أو مزق إرباً إرباً ، هذا لا يعنينا طالما روحنا سليمة .

† † †

إنقلى ممتلكاتك !!

والآن ، إن كنت تريدين أن تحفظى ممتلكاتك فى أمان ، بل وأن تزداد ، فأنى أدبر لك خطة وأعرفك المكان الذى لا يقدر أحد من مدبرى الشر أن يدخل فيه .

ما هو هذا المكان ؟ انه السماء . إرسلى مقتنيات إلى زوجك الصالح ، فلا يقدر لص أو مدبر مكائد أو أى مخرب آخر أن ينقض عليها . لأن ما نزرعه فى السماء يأتى بمحصول عظيم وغلة وافرة . وهذا أمر طبيعى نتوقعه فى الأشياء التى جذورها مغروسة فى السماء .

فإن فعلت هذا ، أنظرى بماذا تتمتعين ؟ !

أولا ستتمتعين بالحياة الأبدية ، والأشياء الموعود بها للذين يحبهم الله « ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر » .

ثانياً الاتصال الدائم مع زوجك الصالح، مع إراحة نفسك من الإهتمامات والمخاوف والمخاطر والتدابير والعداوة والكراهية ، هذه الأمور التى قد تحدق بك هنا . فطالما أنت محوطة بهذه الممتلكات ، يوجد إحتمال وجود من يهاجمونك ، أما إن أودعتيها فى السماء ، فستنالين حياة الطمأنينة والسلام ، المملوءة بالأكثر هدوء مع التمتع بالحرية المرتبطة بالصلاح . . .

† † †

حياة متقلبة ! !

حيث أن نفسك مضطربة جداً ومتكدرة ، بسبب توقعك القائم على أن زوجك كان قد أوشك أن يصير والياً على مقاطعة وأنه قد أخذ قبل الأوان . . . فتأملي أولا هذه الحقيقة . أنه وإن كان رجاؤك هذا مبنى على أساس سليم جداً ، إنما هو رجاء بشري . الذى غالباً ما يسقط على الأرض (أى لا يتحقق) . ونحن نرى فى هذه الحياة أولئك الذين كانوا يتوقعون أموراً بثقة لكن رجاءهم لم يتحقق . بينما أولئك الذين لم يفكرون فى أمر ما إذ به يحدث لهم . . .

لذلك وإن كانت الفرصة لنواله هذه الوظيفة كانت قريبة جداً ، لكنه كما يقول المثل « كثيراً ما يسقط الكوب من فم شاربه (١) » ويقول الكتاب المقدس « بين الغداة إلى العشى يتغير الزمان » حكمة يشوع ١٨ : ٢٦ .

وهكذا من هو ملك اليوم قد يموت غداً . وأيضاً يعلن

---

(١) المثل يصعب ترجمته حرفياً وهو :

"Between the cup and the lip is many a slip"

الحكيم نفسه قائلا « كثيرون من المتسلطين جلسوا على التراب، والخامل الذكر لبس التاج » حكمة يشوع ١١ : ٥ .

فلم يكن هناك تأكيد مطلق ، أنه لو عاش لنال هذه الوظيفة، لأن ما يخص المستقبل لا يمكن الجزم به ، إنما يوقفنا أمام شكوك كثيرة . لأنه على أى أساس تجزمى بنواله هذه الوظيفة ، إذ ربما تأتى الحوادث بغير ما فى الحسبان ، بل ويوجد احتمال أنه كان سيفقد الوظيفة التى هو فيها بسبب مرض أو تدبير مكيدة ضده بواسطة الحاسدين له على غناه ، أو بسبب كارثة خطيرة أخرى .

لكن ، لنسلم معك - إن أردتى - أنه بالتأكيد لو كان حياً لبلغ على أى الأحوال مركزاً رفيعاً . لكن بقدر ما يزداد المركز رفعة تزداد أيضاً مخاطره وقلاقله ويدس له ما لم يكن فى الحسبان [1] .

لنترك هذا كله جانباً ، مفترضين أنه سيجتاز بحر المصاعب بسلام وهدوء كامل . لكن أخبرينى وما هى نهاية هذا ؟ ألا ليست نهايته هى تلك النهاية التى وصل إليها الآن . لا بل وربما بلغ نهاية مؤلمة ومكروهة .

---

(١) يلزمنا مراعاة ظروف الدولة الرومانية فى ذلك الوقت وكثرة القلاقل وخطورة المراكز الرئيسية فى ذلك الحين .

فمن جانب ، ربما مركزه الجديد (أغراء المركز) يلهيه عن نظرته إلى السماء والسماويات . الأمر الذى ليس بنافه فى نظر من وضعوا رجاءهم فى الحياة الأخرى .

ومن جانب آخر ، وإن كانت حياته ستبقى طاهرة كما هى . لكن طول الزمن مع ضروريات المركز السامى قد يعوقه عن البقاء فى حياته التقية كما هو عليه الآن (لم يكن العيب فى المركز فى ذاته ، لكن ربما يخشى من الملتفين حوله من مرائين أو خادعين ، أو يخشى عليه من السقوط فى الكبرياء والزهو مما يفقده نقاوة قلبه ، أو لظروف أخرى خاصة بالدولة الرومانية فى ذلك الوقت) .

فى الحقيقة أنه ليس مؤكد ، إن كان لا يعانى من تغيرات كثيرة مستسلماً للكسل (فى العبادة) قبل أن يسلم أنفاسه الأخيرة .

والآن نحن واثقون ، أنه بنعمة الله قد صعد إلى مكان الراحة ، لأنه لم يرتكب ما يحرمه من دخول ملكوت السموات . لكنه لو بقى ... ربما كان قد سقط فى معاصى كثيرة لأنه يندر أن يعمل إنسان بين شرور عظيمة هكذا [1] أن يسلك فى طريق مستقيم ، بل يضل ، بإرادته أو بغير إرادته كأمر طبيعى ... .

---

(١) هذه العبارة تكشف أن الولاة فى ذلك الوقت كان يلتف حولهم جماعة من الأشرار .

ومادام الأمر هكذا ، فنحن قد عتقنا من هذا التوقع للشر ، مقتنعين تماماً ، أنه سيظهر فى اليوم العظيم فى بهاء أعظم ، متلألئاً بجوار الله (الملك) ، آتيا مع الملائكة قدام المسيح ، ومكتسياً بثوب مجده غير منطوق به ، جالساً بجوار الملك كمن يحكم ، عاملا كأحد خدامه العظماء .

لذلك فإنه إذ تكفين عن البكاء والنحيب ، متمسكة بالحياة التى عاش هو بها ، نعم لتكونى مثله تماماً ، حتى تنالى بسرعة ما وصل إليه من مستوى فى الفضيلة ، عندئذ تسكنين معه فى نفس الموضع وتتحدين معه مرة أخرى طوال الأبدية ، لا فى اتحاد زيجى بل فى اتحاد اسمى كثيراً . لأن الأول فيه اتصال من نوع جسدى ، أما الثانى فيكون فيه الاتحاد بين الروح والروح أكثر كمالا ، وأعظم بهجة ومن نوع أنبل .

† † †

يطلب من مكتبة كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس باسبورتنج

٣

مطبعة الكيرزكه ٦٨ شارع البيع بناك ت ٢٢٩٨٠ اسكندرية